صنع الله الذى اتقن كل شيء

(هذه)

رسالة في فضيلة العلوم والصناعات

للحكيم ابي نصر محمد بن محمد

ابن طرخان الفارابى رحمه الله

وجعل الجنة مثواه المتوفى

سنة تسع وثلاثين

وثلاث مائة

(الطبعة الاولى)

بمطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند بمدينة

حيدر آباد الدكن سنة (١٣٤٠) هجرية



بسم الله الرحمن الرحيم

فصل

قال ابو نصر محمد بن محمد الفارابي رحمه الله — فضيلة العلوم و الصناعات انما تكون باحدى ثلاث — اما بشرف الموضوع — و اما باستقصاء البراهين و اما بعظم الجدوى الذى فيه سواء كان منتظراً او محتضراً — اما ما يفضل على غيره لعظم الجدوى الذي فيه فكالعلوم الشرعية و الصنائع المحتاج اليها في زمان زمان و عند قوم قوم — و اما ما يفضل على غيره لاستقصاء البراهين فيه فكالهندسة — و اما ما يفضل على غيره لشرف موضوعه فكعلم النجوم — وقد يجتمع الثلاثة كلها او الاثنان منها في علم واحد كالعلم الالهى *

فصل

قد يحسن ظن الانسان بالعلم الواحد فيظنه اكثر و احسن و احكم

و اوضح مماهو كذلك امالتقصير و نقص يكونان في طبعه فلا تقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم و امالانه لم يبلغه مايعاند الذى عنده — و اما لفضيلة المستنبطين له والمتمسكين به — و امالكثرتهم — واما لحرص الانسان على نيل مايرجو انه يحصل من ذلك العلم و جلالة فائدته و عموم النفع فيه لوصح وتحقق — واما لاجتماع اكثر هذه الاسباب فيه و قد يخرج مثل هذا الظن الانسان الى قبول ماليس بكلي على انه كلي و ما ليس بمنتج من القياسات على انه منتج وماليس ببرهان على انه برهان*

﴿ فصل ﴾

اذا وجد شيئان متشابهان ثم ظهر ان شيئا ثالثا هو سبب لاحدهما فان الوهم يسبق ويحكم بانه ايضاً سبب للآخر فذلك لا يصح في كل متشابهين اذ التشابه قد يكون لعرض من الاعراض وقد يكون بالذات و القياس الذي يتركب في الوهم فيوجب ما ذكر انه قياس مركب من قياسين — ومثال ذلك ان الانسان مشاء والانسان حيوان والمشاء حيوان والفرس شبيه بالانسان في انه مشاء فهو ايضاً حيوان و هذا لا يصح في جميع المواضع اذ القفنس ابيض وهو حيوان والاسفيداج ابيض لكنه ليس بحيوان*

﴿ فصل ﴾

امور العالم واحواله نوعان (احدهما) امور لها اسباب عنها تحدث وبها توجد كالحرارة عن النار و عن الشمس توجد للاجسام المجاورة والمحاذية لهما وكذلك سائر ما اشبههما (والنوع الآخر) امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة. كموت انسان اوحياته عند طلوع الشمس

او عند غرو بها * فكل امر له سبب معلوم فانه معد لان يعلم و يضبط و يوقف عليه * و كل امر هو من الامور الاتفاقية فانه لا سبيل الى ان يعلم و يضبط و يوقف عليه البتة بجهة من الجهات — والاجرام العلوية علل و اسباب لتلك وليست بعلل و اسباب لهذه *

﴿ فصل ﴾

لو لم تكن في العالم امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة لارتفع الخوف و الرجاء و اذا ارتفعا لم يوجد في الامور الانسانية نظام البتة لا في الشرعيات و لا في السياسيات لانه لولا الخوف و الرجاء لما اكتسب احد شيئا لغده و لما اطاع مرؤوس لرئيسه و لما غنى رئيس عن مرؤوسه و لما احسن احد الى غيره و لما اطيع الله و لما قدم معروف — اذ الذي يعلم جميع ماهو كائن في غد لا محالة على سكون ثم يسعى سعيا فهو عابث احمق يتكلف بما يعلم انه لا ينتفع به *

﴿ فصل ﴾

كل ما يمكن ان يعلم او يحصل قبل وجوده بجهة من الجهات فهو كالعلوم المحصلة و ان عاقت عنه عوائق او تراخت به المدة — و اما مالا يمكن ان يكون به تقدمة معرفة فذلك الذي لا يرجى الوقوف عليه الا بعد وجوده *

﴿ فصل ﴾

الامور الممكنة التي وجودها ولا وجودها متساويان ليس احدهما اولى من الآخر لا يوجد عليها قياس البتة اذ القياس انما يوجد له نتيجة واحدة فقط اماموجبة و اماسالبة و اي قياس ينتج الشيء و ضده فليس يفيد

علما

علما لانه انما يحتاج الى القياس ليفيد علما بوجود الشيء فقط او لا وجوده من غير ان يميل الذهن الى طرفي النقيض جميعا بعد وجود القياس اذ الانسان من اول الامر واقف بذهنه بين وجود الشيء ولا وجوده غير محصل احدهما فاي فكر او قول لا يحصل احد طرفي النقيض ولا ينفي الآخر فهو هدر و باطل *

﴿ فصل ﴾

التجاريب انما ينتفع بها في الامور الممكنة على الاكثر لا غير * واما الضروريات والممتنعات) فظاهر من امرهما ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل * واما الجزم فقد ينتفع به في الامور الممكنة في الندرة وفي التي على التساوي *

﴿ فصل ﴾

قد يظن بالافعال والآثار الطبيعية انها ضرورية كالاحراق في النار والترطيب في الماء والتبريد في الثلج وليس الامر كذلك لكنها ممكنة على الاكثر لاجل ان الفعل انما يحصل باجتماع معنيين (احدهما) تهيؤ الفاعل للتأثير (والآخر) تهيؤ المنفعل للقبول فمهما لم يجتمع هذان المعنيان لم يحصل فعل ولا اثر البتة — كما ان النار وان كانت محرقة فانها متى مالم تجد قابلا متهيأ للاحتراق لم تحصل الاحتراق — وكذلك الامر في سائر ما اشبههما * وكلما كان التهيؤ في الفاعل والقابل جميعاً تمه كان الفعل اكمل * ولولا ما يعرض من التمنع في المنفعل لكانت الافعال والآثار الطبيعية ضرورية *

﴿ فصل ﴾

لما كانت الامور الممكنة مجهولة سمي كل مجهول ممكنا وليس الامر كذلك اذالعكس في هذه القضية غير صحيح على المساواة لكنه على جهة الخصوص والعموم فان كل ممكن مجهول وليس كل مجهول بممكن ولاجل الظن السابق الى الوهم ان المجهول ممكن صار الممكن يقال بمعنيين احدهما ماهو ممكن في ذاته والآخر ماهو ممكن بالاضافة الى من يجهله وصار هذا المعنى سبباً لغلط عظيم و تخليط مضر حتى ان اكثر الناس لايميزون بين الممكن و المجهول ولا يعرفون طبيعة الممكن *

﴿ فصل ﴾

ان اكثر الناس الذين لاحنكة (١) لهم لماوجدوا امورا مجهولة بحثوا عنها وطلبوا اعلامها ونقروا عن اسبابها حتى توصلوا الى معرفتها وصارت لهم معلومة فاحسنوا الظن بماهو ممكن بطبعه وظنوا انه انما يجهلونه لقصورهم عن ادراك سببه وانه سيوصل الى معرفته بنوع من البحث والتفتيش ولم يعلموا ان الامر في طبيعته ممتنع لان يكون به تقدمة معرفة البتة بجهة من الجهات اذهو ممكن الطبيعة وما هو ممكن فهو بطبعه غير محصل ولا محكوم عليه بوجوده اولا وجوده *

﴿ فصل ﴾

الاسماء المشتركة قد تصير سبباً للاغلاط العظيمة فيحكم على اشياء بما لايوجد فيها لاجل اشتراكها في الاسم مع ما يصدق عليه ذلك الحكم كالاحكام النجومية * فان قولنا الاحكام النجومية مشتركة لما هي

(١) الحنكة بالضم التجربة ١٢ محيط المحيط ولسان العرب

ضرورية

ضرورية كالحسابيات والمقاديريات منها * ولما هي ممكنة على الاكثر كالتاثيريات الداخلة في الكيف * ولما هي منسوبة اليها بالظن والوضع وبطريق الاستحسان والحسبان * وهذه في ذواتها مختلفة الطباع وانما اشتراكها في الاسم فقط * فان من عرف بعض اجرام الكواكب وابعادها ونطق بذلك فقد يقال انه حكم بحكم نجومي فذلك داخل في جملة الضروريات اذ وجوده ابدا كذلك * ومن عرف ان كوكباً من الكواكب كالشمس مثلا اذا حاذت مكانا من الامكنة فانه يسخن ذلك المكان ان لم يكن هناك مانع من جهة قابل السخونة ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الممكنات على الاكثر * ومن ظن ان الكوكب الفلانى متى قارن او اتصل بالكوكب الفلانى استغنى بعض الناس او حدث به حادث ونطق بذلك فقد حكم ايضاً بحكم نجومي وهو داخل في جملة الامور الظنية والاستحسانية والحسبانية * وطبيعة كل حكم من هذه الاحكام مخالفة للطبيعة الباقية فاشتراكها انما هو في الاسم فقط وكذلك قد يلتبس ويشتبه الامر فيها على اكثر الناس اذ هم غير محتنكين ولا متدربين ولا مرتاضين بالعلوم الحقيقية اعني الضرورية البرهانية *

﴿ فصل ﴾

مشاهدات الاجرام المضيئة العلوية مؤثرة في الاجرام السفلية بحسب قبول هذه منها كما يظهر من حرارة ضوء الشمس وكثرة ضوء القمر وضوء الزهرة وما يظهر من فعلها انما هو بتوسط اضوائها المبثوثة (١) لا غير *

(١) المبثوث المبسوط والمنتشر ١٢ محيط المحيط

﴿فصل﴾

القدماء مختلفون في الاجرام العلوية هل هي بذواتها مضيئة ام لا فبعضهم قالوا ليس في العالم جرم مضيئ بذاته سوى الشمس وكل ما سواها من الكواكب يستضيئ منها واستدلوا على صحة قولهم بالقمر والزهرة فانهما يكسفان للشمس حيث حالتا فيما بينها وبين البصر * وبعضهم قالوا ان جميع الكواكب الثابتة مضيئة بذواتها وان السيارة مستضيئة من الشمس فعلى اي هاتين الجهتين كانت فان تأثيرها بتوسط اضوائها الذاتية او المكتسبة غير مستنكر ولا مدفوع *

﴿فصل﴾

معلوم ان الكواكب متى استجمعت انوارها مع ضوء الشمس على جسم من الاجسام السفلية اثرت فيه اثرا مخالفا للمؤثر عند انفرادها عنه وذلك مختلف بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والازيد والانقص وبمقدار تهيؤ ذلك الجسم في الازمنة المختلفة لقبول ذلك الاثر * وايضاً فان بين الاجسام تفاوتا في القبول * وهذه هي الخواص التي موجودة وفاعلة وان كانت غير مضبوطة بمقاديرها وهيآتها على الاستقصاء والاستيفاء *

﴿فصل﴾

العلل والاسباب اما ان تكون قريبة واما ان تكون بعيدة (والقريبة) معلومة مدركة مضبوطة على اكثر الامور * وذلك مثل حمي الهواء من انبثاث ضوء الشمس فيه (والبعيدة) قد يتفق ان تصير مدركة معلومة مضبوطة * وقد تكون مجهولة فالمضبوطة المدركة منها كالقمر يمتلئ ضوأ ويسامت بحرا فيمتد فيسقي الارض فينبت الكلأ

فيرتمها الحيوان فيسمن فيربح عليها الانسان فيستغني و كذلك ما اشبهها *

﴿ فصل ﴾

لا تستنكر ان يحدث في العالم امور لها اسباب بعيدة جداً فلا تضبط لبعدها فيظن بتلك الامور انها اتفاقية و انها من حيز الممكن المجهول مثل ان تسامت الشمس بعض الاماكن الندية فترتفع عنها البخارات كثيرة فتنعقد منها سحائب وتمطر عنها امطار وتكون بها اهوية فتعفن بها ابدان فتعطب فيرثهم اقوام فيستغنون غير الذي يزعم انه قد يوجد سبيل الى معرفة وقت استغناء هؤلاء القوم ومقدازه * وجهته من غير اقتفاء السبيل الذي ذكرت مثل تفاؤل اوعيافة اواستخراج حساب او مناسبة بين اجسام او اعراض فهو مدع ما لا يذعن له عقل صحيح البتة *

﴿ فصل ﴾

امور العالم واحوال الانسان فيها كثيرة و هي مختلفة فمنها خير و منها شر و منها محبوب و منها مكروه و منها جميل و منها قبيح و منها نافع و منها ضار فاي و اضع وضع بازاء كثرة افعاله كثرة من امور العالم مثل حركات البهائم او اصوات الطيور او كلمات مسطورة او فصوص معمولة او سهام منشورة او اسام مذكورة او كلمات من حركات النجوم و ما اشبه ذلك مما فيه كثرة فانه قد يصادف بين تلك الاحوال و بين ما وضع مما ذكر اي كثرة كانت مناسبة يقيس بها بين هذه و بين تلك * ثم قد تتفق فيها اشياء تعجب الناظر فيها و المتأمل بها الا ان ذلك لا عن ضرورة و لا عن وجوب ينبغي للعاقل ان يعتمدها و انما هو

اتفاق يركن اليه من كان في عقله ضعف اما ذاتي او عرضي فالذاتي هو ما يكون في الانسان الغبي الذى لا تجارب معه اما لصغر سنه واما لغباوة طبعه والعرضي هو ما يكون للانسان عند ما يغلب عليه بعض الآلام النفسانية مثل شهوة مفرطة او غضب مفرط او حزن او خوف او طرب او ما اشبه ذلك *

فصل

مزية حركات الاجرام العلوية والمناسبات التي بينها على ما سوى ذلك من اصوات الطيور وحركات البهائم وخطوط الاكتاف وجداول الاكف واختلاجات الاعضاء وسائر ما يتفاءل ويتطير بها ومنها انما هو بمعنيين اثنين احدهما هو ان تلك الاجرام هي مؤثرة في الاجسام السفلية بكيفياتها فهي لذلك مظنون بها انها مؤثرة ايضا لاتصالاتها وانصرافاتها وظهورها وغيبوبتها وتقاربها وتباعدها والآخر انها ثابتة بسيطة شريفة بعيدة عن الفسادات *

فصل

ليت شعرى لما وجدت النغم التاليفية بعضها منافرة وبعضها ملائمة وبعضها اشد ملاءمة وبعضها اشد منافرة ما الذى يوجب ان يكون حلول الكوكب في الدرجات التى تناسب في العدد تلك النغم ايضاحالها في المساعد والمناحس كذلك مع ما هو من المتفق عليه ان تلك الدرجات وتلك البروج انما هى بالوضع لا بالطبع وليس هنالك البتة تغير وتخالف طبيعي *

الم

فصل

الم تعلم ان الاستقامة و الاعوجاج و النقصان و الكمال التى تقال في مطالع البروج انما هي بالاضافة الى اماكن باعيانها لا جل تلك الاماكن لا انها في انفسها ذوات اعوجاج و استقامة وكمال ونقصان و سائر ما اشبهها* فاذا كان الامر كذلك فما الذى يوجب ان تكون دلالتها على الاجرام السفلية من الحيوانات والنباتات بحسب تلك التاثيرات التي قيل فيها و ان صح ذلك في ذواتها فهو يوجب شيئا غير ما هو داخل في التاثيرات الداخلة في باب الكيف *

فصل

من اعجب العجائب ان يمر القمر فيما بين البصر من الناس باعيانهم في موضع من المواضع فيستتر بجرمه عنهم ضوء الشمس و هو الذى يسمى الكسوف فيموت لذلك ملك من ملوك الارض* و لو صح هذا الحكم و اطرد لوجب ان كل انسان اذا استتر بسحاب او اي جسم كان عن ضوء الشمس فانه يموت لذلك ملك من الملوك او يحدث في الارض حادث عظيم* و ذلك ما تنفر عنه طباع المجانين فكيف العقلاء *

فصل

بعدما اجتمع العلماء واولو المعرفة بالحقائق على ان الاجرام العلوية في ذواتها غير قابلة للتاثيرات و التكوينات ولا اختلاف في طباعها فما الذى دعا اصحاب الاحكام الى ان حكموا على بعضها بالنحوسة وعلى بعضها بالسعادة ان كان مادعاهم الى ذلك الوانها وحركاتها البطيئة والسريعة فليس ذلك

بمستقيم في طريق القياس اذليس كل ماشبهه بعرض من الاعراض فانه يجب ان يكون شبيها به بطبعه وان صدر عن كل واحد منهما ما يصدر عن الآخر *

﴿ فصل ﴾

لووجب ان يكون كل ما كان لونه من الكواكب شبيها بلون الدم مثل المريخ دليلا على القتال واراقة الدماء لوجب ان يكون كل مالونه احمر من الاجسام السفلية ايضاً دليلا على ذلك اذهي اقرب منها واشد ملائمة * ولووجب ان يكون كلما حركته سريعة اوبطيئة من الكواكب على التباطؤ والتسارع في الحوائج لوجب ان يكون كل بطيئ وكل سريع من الاجرام السفلية ادل عليها اذ هي اقرب منها واشبه بها واشد اتصالا كذلك الامر في سائرها *

﴿ فصل ﴾

ما اعمى بصر من نظر في امر البروج فلما وجد الحمل به يبتدأ في تقديرها حكم انه يدل على رأس الحيوان وخصوصاً الانسان ثم لما كان الثور يتلوه حكم بانه يدل على العنق والاكتاف وكذلك الى ان انتهى الي الحوت حكم بانه يدل على القدمين * اما كان ينبغي ان ينظر بعينه السخينة وعقله المذهول الى الحوت وهو يتصل بالحمل والى القدمين وهما غير متصلتين بالرأس فيعلم ان حكمه غير مطرد في ذلك اذ اعضاء بدن الحيوان موضوعة على الاستقامة والبروج على الاستدارة وليس بين المستقيم والمستدير مناسبة * لكن من اعظم المصائب ان الضرورة تدعو الى التفوه بمثل هذا الطعن الذي لا يدرى هل الطعن اضعف ام المطعون غير ان الشر يدفع

بالشر * ولولا ان الاشتغال بامثال هذه المقابلات والمعاندات مما يتعطل به الزمان لاتيت منها جملة *

﴿ فصل ﴾

من حكم بان زحل هو ابطأ الكواكب سيرا والقمر اسرعها سيرا لم يقلب الحكم ان زحل اسرعها سيرا اذ مسافته اطول مسافات الكواكب سواها والقمر ابطأها اذ مسافته اقرب مسافات تلك *

﴿ فصل ﴾

هب ان القمر وسائر الكواكب ادلة على الامور والاحوال على ما وضعه اصحاب الاحكام فلم قالوا ان الامور التي يراد ان تكون خفية مستورة ينبغي ان تتعاطى في وقت الاجتماع لاضمحلال ضوء القمر اما علموا ان ضوء القمر على حالته لم يتغير ولم يلحقه زيادة ولا نقصان وانما ذلك بالقياس الينا لا غير * (وكذلك) ما قالوه في الامتلاء والاستقبال * ومهما لم يلحقه في ذاته تغير فما الذي يجب ان يلحق ذلك التغير ما هو دليل من الامور على ما وضع *

﴿ فصل ﴾

لما كانت الكواكب والشمس في ذواتها لا حارة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة باتفاق من العلماء فما معنى الاحتراق الذي ادعوا في الكواكب التي تقرب من الشمس * (وحيث) وضعوا الشمس دليلا على الملوك والسلاطين فلم لم يحكموا بان الكواكب التي هي دليل على نوع من انواع الناس مثل عطارد الذي وضعوه دليلا على الكتبة او على من يكون صاحب وجاهة اذا قرب من الشمس ان يكون له تمكن من السلطان

وقرب اليه و زلفى لـكنهم جعلوا ذلك منحسة *

﴿ فصل ﴾

من ظن ان هذه تجارب عليها و جدبت دلائل هذه الـكواكب و شها داتها فليعمد الى سائر ما وضع و ليقلبها مقلوبا في المواليد والمسائل والتحاويل فان وجد بعضها يصح وبعضها لا يصح على ماعليه حال ما وضع على ماوضع فيعلم ان ذلك ظن وحسبان واستحسان وغرور

﴿ فصل ﴾

لم ير احدوان كان من الاستهتار باحكام النجوم و الايمان بهاواليقين فيها بغاية ليس وراء ها غاية وهو يقطع امرا مما يهمه لاجل حكم يحكم له به وان عاين في طالع مولده اومسئلته جميع الشهادات التي بها يستدل وعليها يعول مثل اخراج مال اوترك حزم في حرب او اخذزاد في سفر اوماشبه ذلك * واذا كان الامر على هذا السبيل فما اشتغالهم بهذا الفن الا لاحدى ثلاث اما التفكه وولوع واما لتكسب وتسوق وتعيش به واما لحزم مفرط وعمل بما قيل ان كل مقبول محذور منه — هذا آخر ما وجد من التذاكير بخط ابي نصر اثبتها لنفسي و كتبتها لك لتتأملها لان تنشط لذلك و الله الموفق *

قدتم طبع هذه الرسالة بعون الله تعالى في اواخر شهر جمادى الآخرة سنة (١٣٤٠) هجرية في عهد الآصف السابع لا زالت شموس دولته طالعة و انوار افاداته لامعة بمطبعة دائرة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن